

الفصل الثانى

الفارابى فى عصره

١ - حياته

(١) نسبه :

اختلف المؤرخون فى نسب الفارابى ، فقال ابن أبى أصيبعة فى « عيون الأنبياء » إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ . وقال القفطى إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان ، وواقفه فى ذلك البيهقى . وقال ابن النديم فى « الفهرست » إن اسمه هو أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان . وقال صاعد فى « طبقات الأمم » إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد ابن نصر ، وقال فى مكان آخر من نفس الكتاب إنه أبو نصر محمد بن نصر . وواضح من هذا أن المؤرخين قد أجمعوا على اسمه ، وإن كانوا قد اختلفوا فى ذكر نسبه واسم أبيه ، فقالوا جميعهم إن اسمه « محمد » .

وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابى على أنه تركى الأصل ، ولكن ابن أبى أصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش وهو فارسى المنتسب . ويقول الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعلام فيهما . وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكورهم التاريخ . ولعل فيما امتاز به الفارابى من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال » (١) .

(١) « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » ، للقاهرة سنة ١٩٤٥ ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(ب) موطنه :

ينسب الفارابي إلى بلدة فاراب ، ولكن صاحب الفهرست قال إنه من بلدة فارياب من أرض خراسان . وبديهي أنه لو كان من فارياب لكان اسمه الفاريابي لا الفارابي . وبذا يصبح من المؤكد أنه من بلدة فاراب ، وهي كما يقول ياقوت : « ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش ، قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم ، إلا أن بها منعة وبأساً ، وهي ناحية سبخة لها غياض ، ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر الشاش » .

(ج) مولده ونشأته :

ذكر ابن خلكان أن الفارابي توفي سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاماً ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالي سنة ٢٥٩ هـ . وهذا الاستنتاج ضروري في هذا المجال ، إذ أن المعلم الثاني لم يترجم لنفسه كما صنع بعض مفكري الإسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابي يهوى التنقل والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا عن رحلاته إلا ما وقع منها بعد أن بلغ سن الخمسين ، أضف إلى ذلك أنهم لم يذكروا لنا شيئاً يروى الغلة عن طفولته وشبابه ، بل إنهم تتبعوا حركة أسفاره بعد أن رحل هو من بلده إلى بغداد ؛ وبذا تظل في حياة الفارابي فترة غامضة قد يحلوها كشف علمي .

وقد نشأ الفارابي على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية . ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان من أنه كان يلم بسبعين لساناً يدخل في باب الأساطير ، وقد تبين أنه لم يكن يعرف اليونانية ويتضح ذلك من تحليله لكلمة السفسطة في كتابه إحصاء العلوم ^(١) . ولقد

Dr. Ibrah. Madkour, Al-Fārabi, A History of Muslim Philosophy, Otto (١)

نال الفارابي - أيضاً - قسطاً من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة ، ولعله لم يتجه إليها إلا متأخراً . ولقد ذكر ابن أصيبعة أنه عني بدراسة الطب عناية خاصة . ولكن الدكتور إبراهيم مذكور لا يقرّ هذا القول ^(١) .

ووراء البحث عن الدراسات العقلية ، رحل الفارابي من بلده ، فذهب إلى بغداد ودرس المنطق على إمام المنطقة أبي بشر متى بن يونس ، بعد أن أتقن اللغة العربية . كما درسه أيضاً - كما يقول صاعد في طبقات الأمم - على يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر .

وكان دخول المعلم الثاني مدينة بغداد حوالى سنة ٣١٠ هـ ، وعمره حينئذ يناهز الخمسين . وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من حياة الفارابي ، مرحلة النضج الكامل ، والتأثير فيمن يتصل به . وفي بغداد ، التقى بالباحثين من منطقة ولغويين ، فدرس - كما ذكرنا - المنطق على أبي بشر متى بن يونس ؛ ومالبث الفارابي أن تفوق عليه .

وتوجه إلى حران ، فأخذ المنطق أيضاً عن يوحنا بن حيلان ؛ ولقد « سمي بالمعلم الثاني لما انتهى إليه من منزلة ممتازة » ^(٢) . وقد تلمذ عليه يحيى بن عدى المنطقي المشهور .

ورجع الفارابي مرة أخرى إلى بغداد ، كما يذكر ابن خلكان ، فقرأ بها علوم الفلسفة . وأقبل على كتب أرسطو مستخرجاً معانيها . بعد أن قرأها عدة مرات . ولقد وجد على كتاب النفس لأرسطو عبارة بخطه هي : « إني قرأت هذا الكتاب مائة مرة » . ويقال إنه ذكر أنه قرأ « السماع الطبيعي » لأرسطو أربعين مرة . وما زال محتاجاً إلى معاودة قراءته .

وحسب رواية ابن خلكان ألف الفارابي معظم كتبه في بغداد . ونرى أن هذه الرواية صادقة ، لأنه قضى في بغداد ما يقرب من عشرين عاماً في سن نضجه العلمي .

(١) المرجع السابق . (٢) المرجع السابق .

وبعد أن قضى المعلم الثاني هذه الفترة في بغداد ، توجه إلى حلب ، وعاش في كنف سيف الدولة بن حمدان ، والتي في بلاطه بعلماء الإسلام من كل جنس وثقافة ، لغويين وأدباء وفلاسفة .

ولم يكن الفارابي بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا وإلجاءه ، بل إنه قضى حياته كلها في شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى إنه كان يعمل ناطوراً إبان الفترة التي ذهب فيها إلى دمشق . والشيء البارز في حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه للأسفار ؛ فقد سافر غير مرة - في الفترة التي قضاها في حلب - إلى مصر وإلى دمشق ؛ وانتقل - كما ذكرنا سابقاً - من مسقط رأسه إلى بغداد ، ومنها إلى حران ، ثم رجع إليها .

وقد توفي الفارابي في دمشق سنة ٣٣٩ هـ ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير . ولقد كانت وفاة الفيلسوف وفاة طبيعية ، كما ذكر جل المؤرخين . ولقد خالفهم في ذلك البيهقي في كتابه « تاريخ حكماء الإسلام » فذكر أن بعض اللصوص قتلوه في أثناء رحلته من دمشق إلى عسقلان . ونحن نقول مع أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق إنه « لو صحت حكاية قتل الفارابي لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، سنة ٩٥٧ م . على أننا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها ، وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي تشبه أن تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس إلى الشام سنة ٣٥٤ هـ » (١) .

(١) . « فيلسوف العرب والمعلم الثاني » ص ٦٢ ، ٦٣ .

٢ - الفارابي الشاعر

روى ابن خلكان وابن أصيبعة أن هناك بعض أشعار تنسب إلى الفارابي ؛
فقد روى الأول في « وفيات الأعيان »^(١) هذه الأبيات :

أخى خلّ حيزّ ذى باطل	وكن للحقائق في حيزّ
فما الدار دار مقام لنا	وما المرء في الأرض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على	أقل من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن	على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات أولى بنا	فماذا التنافس في مركز

وهذه الأبيات رواها أيضاً ابن أبي أصيبعة^(٢). ولكن ابن خلكان نفسه
يشك في نسبتها إلى الفارابي . ويقول في ذلك : « ورأيت هذه الأبيات في
الخريدة منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقي البغدادي الدار »^(٣).

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ، كذلك ، بعض أبيات شعرية ، ضمن دعاء
أورده على لسان الفارابي ، هي :

يا علة الأشياء جمعاً والذي	كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز	في وسطهن من الثرى والأبحر
إني دعوتك مستجيراً مذنباً	فاغفر خطيئة مذنب ومقتصر
هذب بفيض منك ربّ الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروى أيضاً هذه الأبيات :

لما رأيت الزمان نكساً	وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال	وكل رأس به صداع

(١) الجزء الثاني ، ص ١٠٢ .

(٢) « عين الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، القاهرة

سنة ١٨٨٢ م .

(٣) « وفيات الأعيان » ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

لزمت بيتي وصنت عرضاً به من العزة اقتناع
 أشرب مما اقتنيت راحاً لها على راحتي شعاع
 لي من قورايرها نداي ومن قراقيرها سماع
 وأجتني من حديث قوم قد أقفرت منهم البقاع^(١)
 وقد ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بعض أبيات شعرية
 للفارابي عن (مقدمة مجموعة تسمى الفلاسفة القديمة ، مطبوعة سنة ١٩١٠
 بالمطبعة السلفية) ^(٢) ، هي :

بزجاجتين قطعت عمرى وعليهما عوّلت أمرى
 فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بنحمر
 فبذى أدون حكمتي وبذى أزيل هموم صدرى

ومن هذا كله ، نرى أن ما وصل إلينا من أخبار المعلم الثاني لا يعطينا
 فكرة واضحة عن هذا الشعر أهو من نظمه أم من نظم غيره . ذلك أن ما في
 أيدينا من كتب الفارابي نفسه لا يشير إلى شيء من ذلك . وكل اعتمادنا في
 هذا الموضوع على كتب المؤرخين وقد شك ابن خلكان نفسه ، كما ذكرنا ،
 في الأبيات التي رواها منسوبة إلى الفارابي . ويضيف أستاذنا المرحوم الشيخ
 مصطفى عبد الرازق إلى ذلك قوله : « نحن نشك في صحة معظم هذا الشعر أن
 يكون للفارابي ، لما في أسلوبه من تكلف ينبوعه أسلوب فيلسوفنا وطبعه ،
 ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب » ^(٣) .

وقد يكون للفارابي شعر يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية ،
 وعدا عليه الزمان فيما عدا على بعض آثاره الفلسفية . ولكننا قبل الكشف عن هذه
 الآثار والعثور على نصوص صحيحة لا نستطيع أن نجزم بأنه كان شاعراً . ومن
 يدري لعل البحث العلمي يكشف عن هذا الموضوع في يوم من الأيام ^(٤) .

(١) « عيون الأنباء » ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) « فيلسوف العرب والمعلم الثاني » ، ص ٦٦ . (٣) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٤) أمام هذا الشك في نسبة هذا الشعر إلى الفارابي ، فضلنا ذكر هذا الموضوع في الفصل

الخاص بحياته ، لا الفصل الخاص بمراتبه . (المؤلف) .